obeikan.com

عوامل الصراع

obeikan.com

العوامل الذاتية

أن السمات الأساسية للشعب السوداني قد تكونت من عدة أسباب مثلت عوامل التمازج والتداخل التي شكلت الخصائص العضوية والعادات والسلوك العام ، فى المجتمع السوداني ويعتبر الشعب السوداني مزيجًا من الأجناس من حيث التكوين والمنبت الذي كان له الأثر والباع الطويل في تكوين ثقافة أقل ما توجد في مجتمع آخر، وهذه العوامل تتوفر فى خاصية العنصر الزنجي الذي يمثله الجنوب والعنصر العربي الذي يمثله الشمال، وقد اجتمعت خصائص الشعب السوداني جميعاً علي ظهر هذه البقعة . وقد خضعت بلاد السودان لعوامل مجتمعة سقوط وهبوط أنتجت ملامح التكوين العام عبر التاريخ البعيد، وكان لها اثر فى نشأت الصراعات القبلية على الرغم من الإيجابيات التي تنجم من هذا التلاقح الثقافي حيث يعتبر تاريخ التراث السوداني في الحركة الإنسانية من أجل الكرامة والحرية وطلب الحياة العادلة التي تتمثل في التنقل الرعوي والزراعي . يحتل مكانة كبيرة ومرموقة في تاريخ ثقافة السودان .

ففي عام ٧٢١ قبل الميلاد اكتملت حلقة بارزة فى سلسلة التحرك الوطني لهذا المجتمع الذي برز على ظهر الأرض بقيادة «بعانخي» وفى القرن السادس عشر الميلادي ١٥٠٤م حيث قويت كثيراً أسباب الوحدة والتلاحق بين أبناء الوطن الواحد ، فقد تقدمت كثيراً نظم الزراعة النيلية وازدهرت أدوات التجارة والجدير بالذكر لا ينسى دور طريق الأربعين الذي يمتد من داخل الجزيرة العربية إلى السودان حيث ربط بين أفريقيا السمراء وبلاد العرب مما أوجد هجرات وساعد

في انسياب القبائل العربية، والذي ساعد بدوره فى دخول الدعوة الإسلامية حتى طوقت الآفاق وكان لذلك الأثر دور كبير في السودان حيث التمازج وازداد التقارب فظهرت علامات القومية السودانية لملتحمة للوجود حاصة وذلك منذ دخول الإسلام في السودان ، وقد مكنت المجتمع السوداني عوامل كثيرة في صنع ثقافة فهناك العادات والتقاليد وكذلك الحدود السياسية مع عدة دول مثل مصر وليبيا (الدول الإفريقية العربية) وتشاد وأفريقيا الوسطى (الفرنسية) والكنغو وأوغندا (الإنجليزية) [1].

وأيضًا التبادل التجاري والزراعي والحرفي داخل القطر ومع الدول المجاورة فاتسعت ملامح المجتمع السوداني وتمارجه . وقد ساعدت العوامل التاريخية فتقدمت المرحلة الاجتماعية الحضارية ونشأت علاقات ذات مضمون آخر واتخذت شكلاً قاد للفتن والنزاعات وهددت إستراتيجية الدولة وصنعت تناحر وصراعات قبلية خاصة بين الرعاة والمزارعين في جزء من أرض السودان وهو يعتبر صراعًا طبيعيًا من حيث النظرة العامة لكنه صنع رعب في أجهزة الدولة .

الإسلام في السودان :-

بعد مرور ثلاثة عشر قرناً منذ أول اتصال بين المسلمين والسودان ظل الإسلام في السودان إلى يومنا هذا، ويظهر أن هذه لحركة البطيئة هي ما ساعد في مرور العملية بشكل سلمي للغاية حيث لا تظهر أى صورة استئصاليه من جانب المسلمين والعرب من أجل استئصال المجموعات العرقية الأفريقية المقيمة معها والمتحكمة فى جوانب الحياة العامة ، وظل الإسلام الذي انتشر عبر جهود التجار والرعاة والمهاجرين حيث ظهر مسامحاً بالصورة التي جعلته يستوعب كل الثقافات السابقة مما أدى في ا لنهاية إلى ظهور ما يمكن أن نسميه (بالإسلام السوداني)، ولعل ما يؤكد هذه الحقيقة ذلك التحول للممالك السودانية من

(١) وقفات فى تاريخ السودان . د.صلاح محي الدين . ص١٦.

المسيحية و الديانات الأخرى للإسلام ابتداءً من مملكة المقرة فى القرن الرابع عشر كما رأينا، وانتهاء بالمماليك في القرن الرابع عشر ويضيف بعض الدارسين أسباب أخرى من أسباب انتشار الإسلام والعروبة إلى السودان بالطرق السليمة، وهو أن قدوم العرب إلى السودان فهناك أجزاء كبيرة غير مأهولة خاصة المناطق التي فى طبيعتها صحراوية كالبيئة العربية مما سهل استقرار أعداد كبيرة من القبائل العربية ومن ثم العمل على انتشار الإسلام [1]. وتظل عروبة السودان قريبة الصلة بالإسلام الدعوى الذي نقل على أيدي التجار والرعاة والمهاجرين، حيث انتشر الإسلام فى السودان بفضل التجار العائدين خاصة في بلاد النوبة والبجة بفضل وضعهم الاقتصادي وآدابهم التي كانوا يتحلون بها مما جعل لهم وضعهم الخاص لدى المواطن العادي، وأيضًا المهاجرون الأوائل يتصفون بنفس صفات التجار مما حببهم وحبب دينهم لأهل البلاد ويشير البروفيسور يوسف فضل في كتاب «العرب والسودان» إلى أن اعتماد نظام توريث ابن الأخت في مملكة المقرة كان واحداً من الأسباب العامة التي أتاحت للعرب الوصول إلى الحكم في دنقلا والإسهام بصورة كبيرة فى عروبة شمال السودان وانتشار الإسلام هناك .

يعتبر السودان بعد سقوط مملكة المقرة قد دخل طوراً جديداً فى الحياة، وأضحى العرب أكثر قوة، وتحالفوا مع الفونج في هزيمة مملكة علوة المسيحية وإنشاء أول مملكة إسلامية، وذلك بعد مرور قرنين من الزمان بعد سقوط مملكة المقرة، وتعتبر هي أول مملكة إسلامية في السودان وهى السلطنة الزرقاء التي يرجع تاريخها إلى بداية القرن السادس عشر وهي انطلاقة الإسلام بصورة واسعة النطاق، ومن أهم هذه التوسعات دعوة سكان الفونج العلماء الأكابر من كل بقاع العالم الإسلامي وبصفة خاصة من الحجاز وعلماء الأزهر الشريف لأمر تعليم

(١) يوسف فضل جسن مقدمة فى تاريخ المماليك فى السودان الشرقى . ص١٨٢.١٤٥.٩٧٢ ، الدار السودانية للكتب .

الناس شئون دينهم، وقد انتهجت لأجل ذلك تدابير خاصة لتشجيع العلماء على الهجرة إلى السودان وتحفيزهم بالرقع الزراعية الكبيرة الخصبة فى أرض البلاد وإعفائهم من الضرائب (المكوس) لتي كانت سائدة وأيضًا كان لحافز مد العلماء بالأيدي العاملة التي تساعد في استثمار الأراضي الممنوعة لهم دوراً مهمًا .

ومما يجدر ذكره في النقلة الإسلامية الكبرى فى بداية القرن الثامن عشر هي دخول الطرق الصوفية الكبيرة خاصة فى المناطق الجنوبية الإمبراطورية العثمانية والتي بدأت فى شمال السودان وتميزت بالمركزية مع وجود فروع لها فى مختلف أنحاء السودان، ثم بدأت فى غرب السودان .

أما الطريقة السمانية والطريقة التجانية والطريقة الختمية، والأخريان فقد اتسعتا خاصة فى شمال السودان وذلك على حساب الطرق الصغيرة التي كانت موجودة من قبل .

وأظن أن قدوم الطرق كان إذاناً باتجاه البلاد نحو المركزية التي تأكدت سياسياً بدخول جيوش محمد علي في بداية القرن لتاسع عشر وإخضاع البلاد لسيطرته في عام ١٨٢١م .

ووصف الهوية العربية الإسلامية ينال تجاهين بحسب ما يتصح من شقي المسمى، ويعتبر المد القومي العربي محدوداً خاصة في الآونة الأخيرة إذ ازدادت فيه قوة الاتجاهات الإسلامية ، وقد اتضحت الدعوة في السودان أنها مالت تجاه الأصولية بمعنى الرجوع إلى الأصول القيمية والعقيدة الثابتة للإسلام .

يمثل الإسلام للشعوب والقوميات التي أدانت به عقيدة ومنهاج حياة وتعايش بين الأقوام والجماعات على إطار المنهج 'لقرآني وإستنادًا على النص ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [1] .

(١) سورة الحجرات الآية (١١) .

وتأتي أحاديث الرسول ﷺ لتخصيص الصلة بين المسلمين كقوله: «**لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى**»[1].

إن مبادئ الإسلام تعتبر مبادئ قيمة كلما حظت بالأجواء المواتية مثل سيادة القانون وقيم العدالة والمساواة والحرية، وظلت حقوق المواطنة هي الأساس في الحكم في القوميات ذات العرقيات والأصول المختلفة في كيان واحد وفي مودة وتراحم وانسجام تام مما قوى صلة شعوب السودان .

وقد أورد الأستاذ محمود الزوادى مثالا يشير إلى أن الانتساب الجماعي إلى عقيدة معينة يقوى وعزز الانتساب إلى الهوية الجماعية الواحدة فالهوية التي تجمع بين شعوب أمريكا اللاتينية مثلا أقوى من التي تجمع بين الإيطاليين والأسبان لأن ديانة غالبية شعوب أمريكا اللاتينية هي المسيحية التي تلتزم بالمذهب الكاثوليكى واللغة الأسبانية هي السائدة بين تلك المجتمعات، وهذا يعنى أنها هوية قوية ومتماسكة بواقعة استنادها إلى رموز لغوية ودينية، أما الهوية التي تجمع مابين الإيطاليين والأسبان فترد فى مقام الهويات الضعيفة مقارنة بالهوية العربية الإسلامية أو هوية مجتمعات أمريكا اللاتينية، وعليه فإن هوية المجتمعين الإيطالي والإسباني ضعفت لأنهما يعتنقان الديانة المسيحية الكاثوليكية ولكنهما ينطقان لغتين مختلفتين، وعلى ذات التأسيس يمكن النظر إلى عامل الفارق في الهوية بين شعوب الهوية العربية الإسلامية وشعوب الهوية الإسلامية المجردة .

لابد أن نضع فى الاعتبار أن الأرض التي تقيم فيها المجموعات البشرية ينظر إليها باعتبارها عنصراً أساسيا في تكوين وتعميق الهوية الجماعية لتلك المجموعات باعتبارها الوطن الذي عاش فيه الآباء والأجداد ودافعوا عنه

(١) حديث شريف.

واستوطن فيه ارثهم وتقاليدهم وشيدوا فيه حضارتهم وثقافتهم وعاشوا على خيراته، فاستقرار المجموعات فى أرض واحدة يعتبر أحد العوامل الأساسية في بلورة ملامح وتوجيهات هويتهم الوطنية .

على كل فإن مسألة الأعراق والأديان ظلت تشكل ضغطًا أساسيًا أدى لعدم الاستقرار بجميع أشكاله فى السودان منذ الاستقلال، أما الديانة المسيحية فالسودان فيه حوالي سبعمائة وخمسين ألف مسيحي فقط ، ٩٥٪ منهم يتمركزون فى جنوب السودان وجبال النوبة، ونلاحظ من تلك الأرقام أن نسبة المسيحية فى السودان ضعيفة، إلا أنهم يشكلون قوه ضاغطة بوجه أو بآخر ويرجع ذلك إلى عدة عوامل منها الاستعمار البريطاني الذي تسبب في إدخال المسيحية عمد على تعليم المسيحيين فى الجنوب ومنع غيرهم من المسلمين والوثنيين من ذلك، بل الأخطر من ذلك أن الاستعمار عمق فكرة تخلف لدين الإسلامي وعصرية الدين المسيحي عندما ربط المسيحية بالعصرية الحديثة في العمل والمستوى الاجتماعي الراقي وربط الإسلام وبعبارة البقر بالتخلف والجهل

وكذلك نجد أن الاستعمار عمد فى نشر المسيحية في أوساط عرقية معينة وهي الزنجية كي يتطابق الدين والعرق ويقويا بعضهما البعض في صراعهما الذى أعد له ليكون مع المسلمين والعرب [1]

على ضوء سياسة الاستعمار البريطاني فالسودان الآن يعاني من مشكلة الصراع العرقي والديني على الرغم من وجود حالة في بعض الدول مشابهة لحالة السودان مثل الأكراد المسلمين وعرب الشيعة في السعودية والخليج الذين يختلفون في المذهب الديني إلا أن مشكلة السودان تكمن خطورتها لأنها تطابق العنصر والدين حتى جعل بعض الجنوبيين يعتقدون أن الإسلام هو دين العرب .

(١) مصدر سابق.

اللهجة الجنوبية في الثقافة السودانية :

إذا أخذنا الجوانب الثقافية فى بنية الإنسان السوداني نجده منذ القدم يتواصل بينه والآخرين أفرادًا وجماعات بالنطق اللساني والذي يتعلمه منذ الصغر عن والديه ومجتمعه الذي يعيش معه فى رقعة جغرافية معينة فكلما ازدادت الجماعات ثقافة بعينها عرفت غلب أحد الألسن على البقية .

إن السودان بتنوعه الثقافي والعرقي واللساني أصبح واقعا تستوعبه العربية، سواء كانت فصيحة كانت على المستوى الرسمي أو هجيناً في شكلها الشعبي ، كما أنها غدت المستخدم المشترك بين المجموعات العرقية المتباينة، فهنالك العربية المشتركة بين الجميع واللغات واللهجات المحلية ، ولكي يعيش الجميع فى أمان لابد أن يتنازل الكل عن النظرة الضيقة لقوميته وبالتالي للغته، فيسود الاحترام على المستوى الثقافي اللساني فيقبل غير العرب على العربية ليستخدموها دون أن يحسوا بنظرة سخرية من العرب لنطقهم الهجين، ولابد للعرب يقبلوا بهؤلاء وبثقافتهم . وبذلك يحترم كل فرد أخاه دون إحساس بعقدة ثقافية أو تميز لغة وحتى لا يتعصب غير العرب للغاتهم ضد العربية رغم أن الارتداد إلى اللغات المحلية القديمة أو الثقافات ذات العلائق الوثنية لا يمكن أن يؤسس شخصية ثقافة تتجاسر على لغة ثقافتها وتاريخها وفكرها وتوجيهها الحضاري منذ مئات السنين .

فالسودان بتداخله وتنوعه وهجرة العرب إليه جرت فيه تحولات عرقية ولسانية علاوة على الآثار العميقة التي تركتها على التركيبة الثقافية للسودان، فمع مرور الزمن حلت اللغة العربية والإسلام محل معظم ما سبق من لغات محلية خاصة في أواسط السودان وشماله).

فاللغة العربية وأيضًا اللغات المحلية لا تتصارع بل يكمل بعضها بعضًا فى

مواقف اجتماعية متنوعة في كل أجزاء القطر ، زيادة على قيام اللغة العربية بوظيفة المهجن ، إذ هناك درجة متفاوتة من ثنائية لغوية لسانية Bilngara Lism داخل كل المجموعات العرقية الاجتماعية المختلفة، وتقوم العربية بوظيفة اللغة الهجين، كما تستعمل العربية بصورة رئيسية كوسيلة للاتصال خارج نطاق المجموعة، فعلى سبيل المثال نجد أن عربي جوبا ينتشر انتشاراً واسعاً فى جنوب السودان وأنه قد حظي بشعبية واسعة كما يستخدم كوسيلة راقية وسط مواطني الجنوب ففي جنوب السودان نجد ظاهرة الثنائية اللغوية وغالباً ما توجد بين المجتمعات المتجاورة، وحتى ثلاثية الأسن قد توجد أحياناً وكثيراً ما لا يفهم أصحاب هذه اللغات بعضهم البعض .

فالشخص من الزاندى مثلا لا يمكنه الاتصال بشخص من دينداومين – وهما قبيلتان من جنوبي السودان – دون أن يستعمل عربي جوبا فبالتالي هي اللغة المشتركة التي يفهمها الجنوبيون جميعاً، وعندما نفكر فى نوع اللغة العربية الذي يعد مناسبًا لقيام القومية للسودان نجد أن الفصحى التي تستخدم في التعليم الرسمي والإعلام عبر قنوات الحكومة الأخرى هي الأمثل لأن تقوم بهذه المهمة، فانتشار اللغة العربية وانحسار اللغات المحلية في الواقع السوداني فى ذات الوقت يعنى أن العربية لا تنتشر من فراغ لغوي ولكن عن طريق احتلال مواقع اللغات المحلية تدريجياً بطيئاً كان أو سريعاً لمجالات الاستخدام المستحدثة كالتعليم العالي والفني والدبلوماسية والتجارة الخارجية ...إلخ والتي تقوى اللغات المحلية في التعامل معها فى ظل التوزيع الحالي لعلاقات القربى بين المتحدثين بالعربية من جهة أخرى ونتيجة لعدم تطوير اللغة المحلية وإعدادها للاستخدام في تلك المجالات اكتملت بالنسبة إليهم عملية التحول اللغوي لصالح اللغة العربية واكتسابهم لها لغة أولى وهذه المرحلة – أى مرحلة التخلي عن اللغة المحلية واكتساب اللغة العربية كلغة وانحسار 'للغات المحلية – تسبقها مرحلة استخدام العربية كلغة ثابتة مشاركة للغة فى التخاطب بين المجموعات اللغوية

المختلفة [1] .

إن الناظر إلى جنوب السودان ليجد أن اللغة العربية الخالصة المعروفة بعربي جوبا مشتركة وتربط جميع قبائل الجنوب ذات الأصول الزنجية، فإذا افترضنا أن مؤتمرًا جنوبياً حضره أفراد أميون من قبائل التبوسا واللاتوكا والباريا والشلك والنوير والزندى والأنواك الفرتيت، فلا نتصور أنهم يستطيعون التواصل والحديث بغير اللغة العربية، إذا أن القبيلة لا تستطيع أن تفهم الأخرى، وجميعهم لن يستطيعوا الحديث باللغة الإنجليزية التي تحتاج للدراسة في المدارس بالمعاهد ولكنهم يجيدون العربية الهجين المستخدمة في الجنوب لغة مشتركة بينهم، فمهما كان رأينا في هذه الخلاصة فإنها لغة لابد من الاعتراف بها بحسبانها لغة لهؤلاء الأفريقيين وغيرهم في جنوب السودان ، وهذا ما جعل الثقافة العربية تجد القبول والانتشار العريض الواسع بين الأفريقيين وأن تشكل لهم دوراً ومملكات ومجتمعات [2] .

ورغم هذا التنوع العرقي والتعدد الثقافي في الأمة السودانية فهي جزء من الكيان الإفريقي العربي ، كما أن فى التعدد توحد، وقد خطا ذلك خطوات كبيرة فى تركيز المقومات الأساسية للانتماء القومي ولكن درجة التفاعل بين هذه المقومات لم تكتمل بعد على طول البلاد وعرضها، ولعل بعض مظاهر الإحساس بين بعض المواطنين فى الكيان القومي الذي ربط جزيئاتها فى نسيج فريد عبر مسيرة السودان التاريخية سبب فى ذلك ولاشك أن السودان في استقطابه لكل هذه الأعراف المتباينة والثقافات المتنوعة فى بوتقة واحدة يمتلك عناصر حيوية من عناصر التوحد، وربما بدت للناظر معوقات لمسيرة الوحدة – للوهلة الأولى – ولكنها إن

(١) عبد الهادي عمر تميم ، اللغة العربية فى المجتمع ، النموذج السوداني (مترجم) ، دار المعارف أمدرمان الإسلامية للطباعة والنشر ، ١٩٩٧م ، ص٢٥-٣٥ .

(٢) مرجع سابق .

أحسنت إدارتها ستؤول إلى قوة واثقة تدفع نحو إكمال بناء الأمة .[1]

وهنا نتساءل هل تحتوى التركيبة الدينية والاجتماعية والثقافية التي تناولناها فى هذا الفصل تحوي وجود قوميات أو ما تابه ذلك ؟ والإجابة على هذا السؤال تقتضى أن تقف عند مفهوم «القومية» إذ أنه لا يفهم بمنعزل عن وضعية «اندماج» حقيقي اقتصادي واجتماعي وثقافي فإذا انتقلت عوامل الاندماج ولازمتها التطورية وعمقها التاريخي والثقافي يرتد 'لتكوين فى هذه الحالة إلى مركزية الوحدة القبلية لا الوحدة القومية، وذلك في مواجهة كل قبيلة بالأخرى ولا يكون حتى الشعور الإقليمى فى هذه الحالة مركزية عليا لحزب أو مجموع القبائل باتجاه «أنا أعلى» وإنما يغدو اتجاها ضد الغير .

(١) مصدر سابق .

العامل الخارجي

دور الأحزاب السياسية في الصراع :-

تعاقب على حكم السودان منذ الاستقلال ثلاثة أنظمة ديمقراطية (٥٦ – ٥٨ – ٦٥ – ٨٦) وثلاثة أنظمة عسكرية (عبود ٥٨ – ٦٤ ، نميرى : ٦٩ – ٨٥ ، البشير ٨٩) وذهبت الأنظمة الديمقراطية بسبب ضعف التكوين الحزبى وتكالب قادة الأحزاب على كراسي الحكم وهشاشة الدولة من مجتمع ينزلق سريعاً بالحرية إلى دائرة الفوضى والاضطراب، بالإضافة إلى تفاقم المشاكل الاقتصادية في بلد مترامي الأطراف محدود الموارد ويعانى من حرب أهلية ضاربة بدأت منذ الاستقلال وذهبت هذه الأنظمة العسكرية (عبود والنميرى) لعجزها عن كسب قاعدة جماهير واسعة تقف من خلف الحكم ، ولتضييقها على حريات الناس العامة لعجزها عن حل المشكلة الاقتصادية والمشكلة السياسية في جنوب السودان، ولقصص الفساد التي راجت عن بعض المسئولين في الحكم [١].

ذلك هو ملخص قصة الدولة مع التعدد الحزبي – الذي بين طائفي وقبلي وجغرافي وسياسي (يقصد به القوى الحديثة في المجتمع) – كما أن هشاشة وضعف البنية والمؤسسات الاقتصادية والسياسية فى السودان تلعب دوراً كبيراً في ظاهرة التبدل والتغير المفاجئة التي تعانيها توجهات الدولة السياسية .[٢]

(١) طلعت حسن معاس رميح ، مستقبل السودان ، دار الطباعة الحديثة ، ص٢ .

(٢) حسن موسى ، شبهات حول الهوية ، كتابات سودانية ، العدد ٣ أبريل ١٩٩٣م ، ص٥ .

لكن يضاف إلى ذلك أن الجيش نفسه والذي ظل هو أكثر أدوات الدولة تماسكاً لم يسلم من هذه الحالة من الانفراط المتتالي فقد شهدت البلاد منذ الاستقلال وحتى الآن أكثر من ٢٠ محاولة انقلابية من داخل الجيش نفسه ومما يعكس الخلافات العرقية والقبلية والسياسية .

والجدير بالذكر أن أول بادرة لتصور الصراع الطائفي في اقوي وأسوأ صورها في مواجهة الدولة التي كانت فى مهدها كان يوم افتتاح في البرلمان في أول مارس ١٩٥٤م حيث وجه السيد إسماعيل الأزهري (أول رئيس وزراء بعد الاستقلال) دعوة رسمية للواء محمد نجيب، رئيس مصر وقتها لزيارة السودان، وكان الأنصار يشعرون بالمرارة بسبب هزيمتهم في الانتخابات .

فانتهزوا هذه الفرصة لحشد مؤيديهم للتعبير عن رفضهم للنفوذ المصري المتزايد، وتدفقت جموعهم نحو الخرطوم واحتشدت فيها، كما تجمعت لذلك جماهير الختمية، وكانت المشاعر ملتهبة أدت إلى صدام عنيف بين الجماهير حيث لجأت الجماعات المتقاتلة إلى السلاح الأبيض وسرعان ما سقطت أعداد كبيرة من القتلى والجرحى .

أما الواقعة الأخرى فهي مؤتمر البجا والذي كان يقتضى قيامه على أمرين الأول بضم شمال وغرب اريتريا إلى السودان، ويقضى الثاني بتوحيد شرق السودان مع شمال وغرب إريتريا لتأسيس دولة البجا الكبرى، غير أن المشروع الأخير دولة البيجا الكبرى اصطدم بخصوصية السيادة المصرية على سواكن وشرق السودان والأهمية الإستراتيجية لشواطئ البحر الأحمر كمنفذ بحري للسودان كله، في تلك الأجواء نشأت فكرة مؤتمر البيجا الذي أسسه الدكتور طه بلية وبازرعة إثر ما كان قد طرحه دوغلاس نيوبولد من مشروع للتقسيم، وقد ساند حزب الأمة – الأنصار ذلك التنظيم وهرع إليه عبد الله خليل رئيس وزراء حزب الأمة لحضور مؤتمره في بورتسودان في أغسطس آب ١٩٥٨م كما هرع إليه

الشيوعيون تحت شعار حقوق القوميات السودانية دون إدراك خلفيات الأمر، وقد ساند بعض مثقفي البجا ذلك المؤتمر، إلا على ضوء خلفياته البريطانية ولكن ظناً طيباً منهم أنه يتولى الدفاع عن مصالحهم الإقليمية ويواجه القبضة الختمية .

الطائفية على أبناء البجاء[1] :-

وتعتبر الأحزاب السياسية في الآونة الأخيرة ضمن إحدى فعاليات تأجيج الصراع فى الساحة السياسية وذلك بواسطة قواعدها الشعبية والشبابية وفروعها بولايات السودان الأخرى خاصة فى شرق السودان وغربه، وإذا أردنا أن نفصل الأحزاب السياسية فهي حزب الأمة والاتحادي الديمقراطي والحزب الشيوعي والبعث ، جل الاهتمام كان لحزب الأمة والحزب الاتحادي الديمقراطي والحركة الإسلامية، أما حزب الأمة الاتحادي فقد ارتبط بالمواطن السوداني رباطًا عقائديًا، إذ يمثل حزب الأمة لأهل الغرب كيانًا عقائديًا لأنه ناتج عن مبعوث ديني خاصة في غرب وأواسط البلاد، أما الحزب الاتحادي الديمقراطي فهو أيضًا يمثل في شمال البلاد وشرقها الكيان لعقائدي .

لقد تطور الصراع القبلي منذ عام ٨٦ – ١٩٨٩م من حروب أهلية ناتجة عن الاحتكاك والعراك الفطري إلى صراع ذي أجندة حزبية، ويتمثل ذلك فى غرب السودان في القبائل العربية وقبيلة الفور فى منطقة وادي صالح والتي تعرف الآن بمحافظة زانجى التي تقع فى إطار ولاية غرب دارفور وتدخل الأحزاب فى الصراعات بواسطة أبناء تلك المناطق ومن الأسباب الجديرة بالذكر دخول الحزب الاتحادي الديمقراطي لأجل توسيع نفوذه فى غرب السودان مما نادت القبائل العربية في تلك المنطقة بالتسوية التي ضمنتها مذكرتها فى عام ١٩٨٧م التي رفعت إلى الصادق المهدي رئيس الوزراء إبان فترة الديمقراطية الثالثة أن مذكرة

(١) محمد أبو القاسم حاج حمد ، السودان المأزق التاريخي وآفاق المستقبل ، ج٢ ، ص١٣٨ .

القبائل العربية فى تلك الفترة كانت مرفوعة من القبائل غير العربية لأنها نادت بإجلاء القبائل العربية من تلك المنطقة، وكانت بقيادة محمد أحمد دريج الذي كان يدعو لقيام دولة السلطان تيراب والذي زج فيما بعد دخول قوات الجيش الشعبي لتحرير السودان بواسطة بولاد إلى مناطق دارفور، وأيضًا دعوى دريج العنصرية ومنشوراته التي كانت توزع بين مواطني المنطقة وقبضت عليها الأجهزة الأمنية ، خاصة للقبائل الزنجية .

وقد زادت تحركات الأحزاب السياسية بزج القبائل خاصة قبائل مناطق الالتماس ومواقع النزاعات القبلية في الآونة الأخيرة بعد قيام ثورة الإنقاذ التى هي نفسها صنعت أحداث الجنينة بين المساليت والقبائل العربية، وذلك لأن الحركة الإسلامية أرادت أن تطغى على قواعد حزب الأمة هنالك بالإضافة إلى ذلك فقد نشطت الأحزاب مؤخراً فى مناطق لتماس فى كردفان ودارفور وبحر الغزال وبعض مناطق أعالي النيل والنيل الأزرق وازدادت حركة الاستقطاب والدعم البشرى بالنسبة للأحزاب مما حدا بـا وعبر التجميع أن ينقل هذه الأنشطة إلى ولايات أخرى خاصة الحدودية ككسلا والقضارف بقيادة أبناء الزغاوة والفور والمساليت وهو تطور طبيعي لهذه الصرعات .

الدور الأجنبي :

من الأسباب التي ساعدت فى عوامل النزاع القبلي فى السودان بصفة مباشرة الحدود السياسية كعامل رئيسي أدى للتوغل القبلي من الدول المجاورة وإلى السودان فهناك دول غير مستقرة سياسياً خاصة الدول التي تحد السودان غرباً وجنوباً والتي يسودها النظم العسكرية القمعية مما ساعد على هجرة تلك القبائل المجاورة إلى الهروب داخل السودان حيث الأمن الاستقرار والسلامة، ومن العوامل الأخرى التي أدت إلى نزوح هذه القبائل الحدودية إلى داخل السودان الجباية العالية فى تلك الدول، أما العامل الأكثر خطورة يتمثل فى ضرب المجاعة التى حدثت فى ثمانينيات القرن

العشرين مما شكل صورة لتوطين لتلك القبائل داخل السودان استقرت فى الحدود . فصنعت نوعًا من أنواع الإخلال بالأمن بتزاحم السكان، وكانت هذه المواجهات طبيعية تمر على البلاد التى لم تكن مستعدة لمقابلة مثل هذه الظاهرة، أما الأعداد الأخرى فهاجرت إلى وسط السودان حيث مشروع الجزيرة ومنطقة القضارف الزراعية المطرية وحتى الآن لم يرجعوا إلى بلادهم .

وتعتبر دولة تشاد هي العامل الأساسي فى الخلل الأمني بالبلاد إذ بها مجموع عصابات معارضة لنظام الحكم على الرغم من تغيره عدة مرات، فالصراع التشادى قد أثر في السودان من نواحٍ أمنية جمة منها (أولا) توغل المعارضين التشاديين داخل البلاد (ثانياً) نزوح المواطنين إلى قلب البلاد وفاضت بهم الولايات الحدودية بصفة خاصة (ثالثاً) موجة الجفاف التي ضربت شمال تشاد إبان عام ١٩٨٥م مما صنع عراكًا بين المواطنين السودانيين والتشاديين .

الجدير بالذكر أن المعارضة التشادية عندما تجد الضغط من قل الحكومة هنالك تلجأ إلى داخل السودان فتلقى بأسلحتها فى البلاد مما أوجد توافرها فى يد المواطنين بأسعار رخيصة نتيجة للتخلص منها. وطبيعة المنطقة الحدودية ساعدت في صنع نظام المجموعات الناهبة وهي عصابات للنهب والسلب وحتى الحروب الأهلية فى تلك المنطقة التى طفر الصراع فيها من عراك بالأسلحة البيضاء إلى الأسلحة النارية أمثال الكلاش والجيم (٣-٤) والرشاشات والمضاضة بأنواعها الثقيل والخفيف ومن أمثلة الصراعات الصراع القبلي بين القبائل العربية والفور في عام ١٩٨٨م، إبان فترة الديمقراطية الثالثة وأخيرا بين القبائل العربية وقيلة المساليت فى عام ١٩٩٨م والتي سميت بأحداث الجنينة فى عهد الإنقاذ كل هذا ساعد على الاضطرابات الأمنية بغرب البلاد .

كما ظلت البلاد مستهدفة من قبل الدول الغربية بصفة معلنة جهاراً نهاراً ومستهدفة من جهة الدول المجاورة من الاتجاه الجنوبي من حيث النواحي

الإستراتيجية خاصة أوغندا التى تحدها مع السودان حدود سياسية، كما أن البلاد مستهدفة فى كيانها القومي ووحدتها الوطنية . خاصة فى الآونة الأخيرة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية التي فرضت على السودان الحصار المعلن وغير المعلن اقتصادياً وسياسياً ودبلوماسياً، وفرضت عليه نسبياً عزلة دولية من قبل جيرانه وذلك بحشد الجيوش وشن الغزو ، ودعمها للمعارضة الجنوبية ماديا ولوجستياً والترويج لهذا أفريقيا وعربياً ودولياً .

على الرغم من فتح دائرة السلام بين الحكومة السودانية وقادة التمرد التي توجد باتفاقية السلام ، وقعت مع بعض جيوش التمرد ولينحسر التمرد فى جناح جون قرنق الذي عجزت حركته فى الآونة الأخيرة من توقيع اتفاقية الخرطوم للسلام ، عن تحقيق أهدافها الرئيسية بالاستيلاء على مدن توريت ليريا كبويتا وحتي التقدم نحو جوبا، وأجبرت قواته بالتقهقر بعد دحرها وحلفائه الأوغنديين إلا أن أوغندا ظلت وعبر حدودها السياسية تؤرق الأمن السوداني من خلال عبور التمرد من داخل العاصمة الأوغندية إلى مناطق جنوب السودان مما أعطى توغل المتمردين نوعًا من أنواع الصراع الدائم .

كما كان لهذه الصراعات تداعيات عدة نتيجة عن جهود بسط الأمن والسلام خاصةً من بعض الدول المحايدة في هذا الصراع ، وتأثيره الأمني بالنسبة لاستقرار المواطنين، مما وضع نوعًا من إشكالية النزوح المنظم من الجنوب إلى شمال السودان خاصة في عام ١٩٩٨م الذي بلغ عدد النازحين فيه ما يزيد عن أربعة ملايين مواطن ولجأت أعداد كبيرة من المواطنين فى جنوب السودان إلى دول الجوار في أوغندا وكينيا والكنغو وأفريقيا الوسطى .[١]

حركة التمرد :-

ظلت الحركة الشعبية تواصل تحركاتها عبر الحدود الأوغندية للتسلل إلى

(١) التقرير الاستراتيجي ، ١٩٩٨م ، ص٧٨.

المناطق الاستوائية مما صنع اعتراضًا وتعطيلًا لتحركات القوات المسلحة السودانية ونخرا فى نخاع إعادة التعمير التي تبنتها الحكومة السودانية ، كما منعت توصيل الغذاء والدواء للمواطنين المتأثرين بالحرب فى جنوب السودان، ومن ناحية أخرى استمرت هجمات التمرد وإجبار الشيوخ وسلاطين القبائل والإدارة والأهلية بالزج بها لحمل السلاح الذي صار إلزاما عليهم ولم ينج منه الأطفال من عمر عشره إلى ثمانية عشر عامًا مما دعا المنظمات الإنسانية تطالب بوقف إطلاق النار حتى يمكن لها توصيل الغذاء للمناطق المتأثرة بالحرب، كما نادت بفتح ممرات جوية ومائية وبرية، إلا أن كثيرًا من هذه المنظمات لم تجرؤ على إعلان تجاوزات التمرد واعتداءاتهم على المواطنين الآمنين وقتل الأبرياء العزل بعد خطفهم وأخرجهم موظفو الصليب الأحمر السوداني (بداية مارس ١٩٩٩م) مما جعل هذه المنظمات تتسارع لدعوة الأمم المتحدة للتدخل لحل مشكلة الجنوب إلا أن الأمم المتحدة رأت تعزيز جهود منظمة الإيقاد فقط .[١]

الجدير بالذكر أن حركة التمرد لقد لحق بها هزائم وأصابتها خسائر جمة خاصة فى عدوانها على البلاد مدعومة بالجيش، فكلما ضغط الجيش السوداني على حركة التمرد كلما انسحب التمرد إلى الشريط الحدودي مع أوغندا التي تمثل مع الجيش الشعبي رأس الرمح في تنفيذ المخطط المعادي للسودان إلا أن تورط أوغندا في حرب البحيرات واندلاع المعارضة المسلحة في شمال أوغندا وغربها أدى إلى إضعاف المخطط إذ اقتصر نشاط الجيش الشعبي لتحرير السودان على مغامرات محدودة الحجم والأثر، وقد واجهت جمهورية كينيا ضغوطاً عديدة من الدول خاصة الولايات المتحدة الأمريكية لكي تسمح للحركة الشعبية بحرية الحركة والتوغل مما يجدر ذكره أن كينيا لا تزال تعمل من خلال مجموعة الإيقاد على مساعدة السودان لحل مشاكله .

(١) المصدر السابق .

تداعيات الصراع الإريتري الإثيوبى على السودان :

عند اندلاع الحرب الاريترية الإثيوبية التي كانت ناتجة عن السلوك المعادى لهاتين الجارتين ظن البعض أن السودان سوف يسعد بها وأن الأزمة تعتبر لصالح السودان نتيجة لإيواء هاتين الدولتين المعارضة الشمالية التي تحارب الحكومة السودانية باسم التجمع الديمقراطي والذى يشمل حزب الأمة والاتحادي الديمقراطي والحزب الشيوعي السوداني والبعث وبعض الأحزاب اليسارية متضامن معهم الحركة الشعبية لتحرير السودان، الذين جعلوا من هذه الدول مستقر لهم .

وعلى الرغم من أن القتال أدى استقرار نسبى في الحدود الشرقية لانشغال قوات الطرفين فى القتال وانقطاع الدعم للمعارضة السودانية المسلحة فإن الحرب أدت لأوضاع سالبة عديدة وقد تعرض بعض مواطني القرى الحدودية والمعسكرات الحكومية لأخطار نتيجة لمحاولة الأطراف لمتقاتلة إجراء مناورات أثناء القتال عبر الأراضي السودانية، كما أن القوات الإريترية ليس لها عمق كافٍ أو ملاذ بخلاف الأراضي السودانية . كما يتبع دائما العراك العسكري موجة لجوء للمواطنين بحثاً عن الأمن مما ألقى بأعباء ضخمة عى البلاد وظلت الأوضاع فى الحدود الشرقية تتأثر بمجريات تلك الأحداث مما صنع نوعًا من إشكالية اللجوء إلى داخل السودان .